الفصل الأول

مكانة العقل فى فلسفة الفارابى

أولا : نشأة الفارابى العلمية

ثانيا : ماهية العقل وأقسامه

ثالثا : سمات المعرفة العقلية

رابعا : قوانين المنطق بين العقل والمعقول

obeikandl.com

الفصل الأول

مكانة العقل فى فلسفة الفارابى

أولا : نشأة الفارابى العلمية

ولد أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابى بمدينة وسيج التابعة لولاية فاراب القريبة من خراسان عام ٢٥٩ هـ الموافق ٨٧٣ م ، وكانت وفاته بدمشق عام ٣٣٩ هـ الموافق ٩٥١ م عن عمر يناهز الثمانون عاما .

بدأ الفارابى المرحلة الأولى من حياته العلمية بتعلم مبادىء العلوم واللغات الفارسية والتركية واليونانية والعربية ، وهى اللغات التى أعانته على فهم وتحصيل علوم اليونان والعرب ، وفى هذه المرحلة استطاع دراسة جانب كبير من مبادىء العلوم الرياضية والطبية والفلسفية ، ثم انتقل الى المرحلة الثانية عندما رحل الى بغداد للقاء علمائها فى الفقه والمنطق وليدرس الفلسفة والمنطق على يد بشر متى بن يونس ويوحنا بن حيلان ، ثم درس ببغداد أيضا فنون الموسيقى والطب والعلوم الرياضية ، ثم انتقل الى المرحلة الثالثة والأخيرة وهى مرحلة التأمل والتأليف عام ٣٣٠ هـ فذهب الى بلاد الشام للقاء سيف الدولة الحمدانى الذى أحسن وفادته ووفر له كافة الوسائل المعينة له على أداء دوره ورسالته ولقاء تلاميذه .

وأثناء هذه المراحل الثلاث كان الفارابى طوال حياته زاهدا فى متاع الدنيا قانعا بمطالعة الكتب وتأليف المقالات والرسائل والكتب وتصنيفها ، ولم تترك له هذه الحياة الفرصة للتفكير فى نفسه أو حتى أن يتزوج ، لأنه كان مؤثرا للعزلة والتأمل فى أقوال السابقين وفلاسفة اليونان وعلى رأسهم أفلاطون وأرسطو ،

والتى فهم عميق فكرهم ومؤلفاتهم فهما دقيقا وقام بشرحها والتعليق عليها وتوجيه النقد للعديد من جوانبها، بالإضافة الى أنه أدرك جوانب الاشتراك والاختلاف بينها وبين معارف وعلوم الفقهاء ورجال الكلام وكذلك فلاسفة الاسلام ، ولذا اشتهر بلقب المعلم الثانى بعد أرسطو المعلم الأول للفلسفة ،وذلك لأنه كان أكبر وأشهر الفلاسفة الذين جاءوا بعد أرسطو وأكثرهم فهما وشرحا وتعليقا على مؤلفاته ، كما أنه المؤسس الأول للفلسفة الاسلامية على الحقيقة لأنه أسس لجميع المعارف والعلوم العربية فى السياسة والفلسفة والمنطق والموسيقى والطبيعيات والإلهيات واحصاء العلوم وترتيبها عند العرب .

ولقد اهتم رجال التاريخ والفكر من العرب الأوائل والعجم أيضا بفلسفة الفارابى ومدى اهتمامه بالعقل وعلوم الحكمة ، ووصفوا نشأته العلمية ورصدوا جهوده فى التأليف والترجمة ، ومن هؤلاء ابن جلجل فى كتابه تاريخ الأطباء حين قال : كان الفارابى فى شبيبته يضرب بالعود ويغنى ، فلما التحى وجهه قال : كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لايستظرف ، فترع عن ذلك وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة فقرأهما قراءة رجل متعقب على مؤلفيها ، فبلغ من معرفة غوارها الغاية ، واعتقد الصحيح منها وعلل السقيم منها ، وألف فى الطب كتبا كثيرة . وذكر القاضى صاعد بن أحمد الأندلسى فى كتابه التعريف بطبقات الأمم كيف اهتم الفارابى بعلوم المنطق والرياضيات فقال : لقد أخذ الفارابى صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام فى أيام المقتدر ، فبذ جميع أهل الإسلام فيها ، وأربى عليم فى التحقيق بها ، فشرح غامضها وكشف سرها وقرب تناولها وجمع ما يحتاج اليه منها فى كتب صحيحة العبارة لطيفة الاشارة منبهة على ما أغفله الكندى وغيره من صناعة التحليل وأنحاء التعاليم وأوضح

القول فيها عن مواد المنطق الخمس ، وأفاد وجوه الانتفاع بها وعرف طرق استعمالها وكيف تصرف صورة القياس فى كل مادة منها ، فجاءت كتبه فى ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة .

وذكر ابن أبى أصيبعة ت ٦٦٨ هـ فى كتابه عيون الأنباء فى طبقات الأطباء كيف تعرف الفارابى على مؤلفات أفلاطون وأرسطو فى الفلسفة والأخلاق والطبيعيات والمنطق ، وأنه صنع بنفسه آلة موسيقية غريبة يسمع منها ألحانا بديعة يحرك بها الانفعالات ، وأن سبب قراءته لعلوم الحكمة أن رجلا أودع عنده جملة من كتب أرسطو طاليس ، فاتفق أن نظر فيها وتحرك الى قراءتها ،وأنه لم يزل الى أن أتقن فهمها وصار فيسوفا بالحقيقة .

وذكر العديد من المؤرخين والحكماء أن الفارابى قدم كما هائلا من المؤلفات فى كافة فروع المعرفة الانسانية وخاصة فى المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والموسيقى والطب وكان من أشهرها :

ـ كتاب مختصر الفلسفة ، وكتاب فى معنى الفلسفة ،وكتاب المختص فى المنطق ،و كتاب المدخل الى علم المنطق ، وكتاب المقاييس ،وكتاب الواحد والوحدة ، ثم كتاب الجوهر ، ثم كتاب الزمان ، وكتاب المكان، وكتاب الخلاء ، وكتاب الخطابة وهو عشرون مجلدا ،وكتاب تهافت الفلاسفة ، وكتاب الفصوص الذى عرف باسم فصوص الحكم ، والذى طبع بالقاهرة عام ١٩٠٧ . وكتاب التنبيه على سبيل السعادة ، وكتاب تحصيل السعادة ، وكتاب الحروف المسمى بكتاب الألفاظ والحروف، وكتاب الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون الإلهى وأرسطو طاليس ،طبع بالقاهرة عام ١٩٠٧ ، وكتاب آراء أهل المدينة الفاضلة الذى طبع بمصر عام ١٣٢٤ هـ ، وكتاب المجموع الذى طبع بمصر عام ١٣٢٥ هـ ،

وكتاب مبادىء الفلسفة القديمة الذى طبع بمصر عام ١٣٢٨ هـ ، وكتاب الموسيقى الكبير الذى طبع بعنوان صناعة علم الموسيقى وقد ألفه للوزير أبى جعفر المنصور محمد بن القاسم الكرخى، وكتاب فى احصاء الإيقاع ،وكتاب السياسة المدنية الذى بدأ بتأليفه فى بغداد وأكمله بمصر، وكتاب احصاء العلوم والتعريف بأعراضها والذى طبع بالقاهرة عام ١٩٣١ و١٩٤٩ ، وكتاب فى أغراض فلسفة أفلاطون وأرسطو ، وكتاب السيرة الفاضلة ، وكتاب فى المدخل الى الهندسة الوهمية ، وكتاب فى الرد على جالينوس فيما تأوله من كلام أرسطو ، وكتاب فى الرد على الرازى فى العلم الإلهى .

كما ألف العديد من المقالات والرسائل منها :

ـ مقالة فى معانى العقل والذى طبع فى القاهرة عام ١٩٢٧ ،وطبع ببيروت عام ١٩٣٢بعنوان رسالة العقل ، وطبع فى أماكن أخرى بعنوان كتاب العقل والمعقول .

ـ مقالة فى صناعة الكيمياء .

ـ رسالة فيما ينبغى أن يقدم قبل تعلم الفلسفة ، طبع بالقاهرة عام ١٩٠٧ .

ـ رسالة عيون المسائل ، طبع بالقاهرة عام ١٩٠٧ .

ـ رسالة فى جواب مسائل سئل عنها ، والذى طبعت فيما بعد بعنوان رسالة فى مسائل متفرقة ، وطبع بالقاهرة عام ١٩٠٧ .

ـ رسالة نكت أبى نصر الفارابى فيما يصح ولا يصح من أحكام النجوم ، طبع بالقاهرة عام ١٩٠٧ ،وهى التى طبعت فيما بعد بعنوان رسالة فى فضيلة العلوم والصناعات ،

ـــ رسالة فى اثبات المفارقات .

ـــ رسالة فى النفس والعالم .

ـــ كلام فى الشعر والقوافى ، وكلام فى الموسيقى ، وكلام فى حركة الفلك ، وكلام فى الجوهر .

كما قدم العديد من الشروح والتعليقات على جميع مؤلفات أرسطو منها :

ـــ شرح كتاب المقولات المعروف باسم قاطيغورياس ، والتعليق على كتاب القول الشارح المعروف باسم القضايا والتعريفات ، وشرح كتاب تأليف القياس المنطقى المعروف باسم أنالوطيقا الأولى ، وكتاب البرهان ويسمى أنالوطيقا الثانية ، وشرح كتاب الجدل المعروف باسم طوبيقا ، وشرح كتاب الخطابة المعروف باسم ريطوريقا ، وكذلك كتاب العبارة ، وكتاب المقولات العشر ، وكتاب المغالطة المعروف باسم كتاب السفسطة ،وشرح كتاب الشعر المعروف باسم بوطيقا ، وشرح كتاب الأخلاق الى نيقوماخوس ، وشرح كتاب العلم الطبيعى المعروف باسم السماع الطبيعى ، وكتاب السماء والعالم ، وكتاب الآثار العلوية ، ورسالة النفس والعالم ، وكتاب فى أغراض الحكيم المعروف باسم كتاب الميتافيزيقا لأرسطو .

ولم تتوقف شروح الفارابى على مؤلفات أرسطو فقط بل قام بالتعليق والشرح لبعض مؤلفات أفلاطون مثل شرحه لجوامع كتاب النواميس لأفلاطون ، والتعليق على شرح أفلاطون لمقالة النفس للإسكندر الأفروديسى ، وكذلك تعليقه وشرحه على كتاب المجسطى فى علم الهيئة لبطليموس الفلكى ، وكذلك

شرحه لكتاب إيساغوجى لفرفريوس فى المنطق ، وشـــرح المقـــالتين الأولى والخامســـة من كتاب إقليدس فى الهندسة .

ثانياً : ماهية العقل وأقسامه

حدد الفارابى فى كتابه معانى العقل والذى طبع تحت مسميات عدة منها : كتاب العقل والمعقول ، ومقالة فى معانى العقل ، ورسالة فى العقل ، حدد مفهوم العقل وأقسامه بحسب جوهره ووظيفته ، وقدم مفهوما يختلف الى حد ما عما قدمه أرسطو فى كتاب البرهان وفى كتاب ما بعد الطبيعة ، فالعقل عند الفارابى هيئة ما فى مادة معدة لأن تقبل رسوم المعقولات ، ومن ثم فهى بالقوة عقل وسائر الأشياء التى فى مادة معقولات بالقوة ، وهذا العقل هو أداة التصور والتمييز والحكم . ولقد أطلق الفارابى على العقل العديد من المسميات فهو النفس الناطقة ، وهو العقل المنفعل بالفعل ، وهو العقل المستفاد ، وهو العقل الفعال ، وهو القوة المخيلة والمصورة . والعقل عند الفارابى فى كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة هو الرئيس الأول للمدينة الفاضلة والذى ينبغى تكون صناعته سيدة الصناعات على الاطلاق لا تستخدمها غيرها ، ولا ترأسها صناعة أخرى ، بل تتجه الصناعات الأخرى جميعا نحو غرضها ، وتسير جميع أفعال المدينة الفاضلة الى الهدف الذى تقصده ، وينبغى ان يكون هذا العقل هو السيد على الإطلاق الذى لا يمكن أن يرأسه إنسان فى المدينة .

والعقل كقوة عاقلة وفاعلة عند الفارابى هو أول وأهم الشروط والصفات التى يجب توافرها فى رئيس المدينة الفاضلة ، وأن هذا العقل يجب أن يمر ويتكون من خلال ستة مراحل أو أشكال هى :

ـ **النفس الناطقة** : وهى القوة التى يكون بها الادراك والفهم والتفكير ، وهى كما يقول الفارابى القوة التى يمكن بها أن تعقل المعقولات ويميز بها بين الجميل والقبيح ، وبها يحوز الإنسان الصناعات والعلوم ، وهذه القوة أيضا هى الهيئة الطبيعية التى يشترك فيها جميع الأناسى ويمتاز بها الإنسان عن سائر أصناف الحيوان .

ـ **العقل المنفعل بالقوة** : وهو القوة القابلة لتلقى المعقولات والانفعال بها ، وهو النفس الناطقة ذاتها إذا نظر اليها من ناحية أنها تتلقى المعقول وتنفعل به .

ـ العقل المنفعل بالفعل : وهو نفس القوة السابقة بعد أن تتأثر بالمعقولات بالفعل ، وعلى ذلك فالإنسان الذى يكون لديه العقل المنفعل بالفعل يكون فى المرتبة الثانية ، ويكون بينه وبين العقل الفعال درجة واحدة .

ـ **العقل المستفاد** : وهو العقل المنفعل بالفعل إذا استكمل بالمعقولات كلها ، وحصل على جميع المعلومات ، وأشرق عليه العقل الفعال بجميع الكليات ، والإنسان الذى يتوافر لديه العقل المستفاد يكون قد وصل الى أرقى درجة من الحكمة وبلغ مرتبة الامتزاج بالعقل الفعال نفسه ، فيصبح الى مرتبة العقول أدنى منه الى مرتبة المادة ، ويصبح روحا أكثر منه جسما ، ويصبح هو نفسه عقلا ومعقولا بالفعل ، ويصبح المعقول منه هو الذى يعقل : أى أنه يصبح عقلا لامتزاجه بالعقل الفعال ، ومعقولا لادراكه جميع المعقولات ، ويصبح المعقول منه هو الذى يعقل لأن جميع المعقولات هى التى كونت الناحية العاقلة منه .

ـ **العقل الفعال** : وهو أحد العقول التى تنبثق عن الله تعالى كما ينبثق الضوء عن الشمس ، وهو المشرف على الانسانيه ، وعن طريقه تصل العقول الحادثة ، سواء عقول الأناسى أو العقول المنفعلة الى المعلومات والمعقولات الجزئية والكلية ، فهو الذى يوجهها الى المدركات ويوحى بها إليها ، ويشرق عليها بالمعقولات ، واذا أشرق العقل الفعال على عقل حادث بجميع المعقولات يكون قد بلغ به الى أرقى درجة من الحكمة .

ـــ القوة المتخيلة : وهى التى تحفظ المحسوسات بعد غيبتها عن الحس ، فتفرد بعضها عن بعض ، وتركب بعضها الى بعض تركيبات مختلفة يتفق فى بعضها أن تكون موافقة لما أحس ، وفى بعض تكون مخالفة المحسوس ، و بفضل القوة المتخيلة تستطيع النفوس التى صفا معدنها ، وهى نفوس الحكماء والفلاسفة الذين زودهم الله بحاسة ادراك المعقولات المحضة والمعانى الكلية ، أن تتذكر ما أدركته فى العالم العلوى قبل اتصالها بالأجسام من جزئيات ومعقولات كلية ، ويتم لها هذا التذكر فى اليقظة أحيانا ، وفى النوم احيانا أخرى ، وتتذكر الجزئيات إذا عرضت لها هى نفسها أو عرض لها فى عالمها هذا ما يحاكيها ، ويتم هذا التذكر بدون جهد ولا عناء ، بل عن طريق إشراق يفيض به العقل الفعال على هذه النفوس ، وأما نفوس العاديين من الناس فهى غير صالحة لتذكر ما أدركته فى عالمها الأول من مثل .

وعلى ذلك فلا يصلح لرياسة المدينة الفاضلة إلا من بلغ عقله المنفعل وبلغت قوته المتخيلة أقصى درجات الكمال ، وبلوغ العقل المنفعل أقصى درجات الكمال يكون بامتزاجه بالعقل الفعال امتزاجا يجعله يستحيل الى عقل ويفيض عليه بالمعقولات كلها فيصبح بذلك حكيما وفيلسوفا ومتعقلا على التمام . وبلوغ قوته المتخيلة أقصى درجات الكمال يكون بتذكرها كافة المعقولات والمثل التى سبق أن أدركتها النفس فى عالمها الأول قبل أن تتصل بالأجسام تذكرا يفيض عليها به العقل الفعال عن طريق الاشراق ، فينكشف بذلك الحجاب عن صاحبها ويصبح فى مرتبة الأنبياء المصطفين .

وهنا يظهر دور العقل الحقيقى والفاعل عند الفارابى ليس فى ادراك المحسوسات فقط بل فى ادراك الكليات وتحقيق السمو بالكائن الحى الى أعلى الدرجات وهى درجة النبوة والرياسة للمدينة الفاضلة ، وأن العقل وحده هو الذى يبلغ بالإنسان الى أعلى درجات

الكمال والسعادة ، وتفسير ذلك عند الفارابي أن النبوة ليست أمرا فوق الطبيعة أو خارقا للعادة ، لأن النبي ليس إلا إنسانا بلغت قوته المتخيلة غاية الكمال ، وذلك بأن يحصل له أولا العقل المنفعل ، ثم بعده العقل المستفاد الذى يكون به الاتصال بالعقل الفعال ، والذى يأخذ به عن طريق الفيض الجزئيات الحاضرة والمستقبلية .

ولم يكتف الفارابي بعرض أوجه الصلة أو لعلاقة بين العقل البشرى والإلهى من جهة الايجاد والفعل ، بل حاول تفسير المعجزات التي يأتى بها الأنبياء تفسيرا عقليا ، حيث أكد على أن النبوة مختصة بقوى قدسية يذعن لها عالم الخلق الأكبر، كما يذعن لروح الواحد من عالم الخلق الأصغر ، فتأتى بمعجزات خارجة عن الجبلة والعادات ولا يمنعها شيء من معرفة ما فى اللوح المحفوظ ، وعلة ذلك عنده أن النبي والفيلسوف كلاهما متصل بالعقل الفعال ، وأن الفرق بينهما أن الأول وهو النبي ينال هذه الرتبة بكمال قوته المتخيلة بعد كمال القوة العاقلة له ، على حين يصل إليها الفيلسوف بالنظر والتفكير ، وتفسير ذلك عنده أن العقل الفعال يفيض على القوة العاقلة ويجعلها تنتقل من القوة الى الفعل ، وبهذه القوة يصل الفيض أو الوحى من هذه القوة الى القوة المتخيلة .

إن الحديث عن أقسام العقل عند الفارابي لا يعني بالطبع معاني العقل الستة التي ذكرناها آنفاً ، ولا يعني أيضاً انقسام العقل إلى فروع ، ولكن يعني أن للعقل قوى وملكات تسمى نفوس أوعقول ، وأن العقول بأنواعها سواء الإنساني أو السماوي ، النظري أوالعملي فلكل قسم أو نوع قوى وفضائل أي سمات تميزه ودرجة معينة لقدرته ، بحيث يكون لكل عقل قوتان على الأقل أحدهما منفعلة والأخرى فاعلة ، وهي بمثابة العلة الفاعلة التي تتميز بالخلود والبقاء ، أما المنفعلة فهي العلة الفانية .

وهنا يمكن ملاحظة التشابه بين هذا التقسيم ، والتقسيم الذي قال به أرسطو عند التمييز بين العقل حينما يفكر تفكيراً نظرياً مستهدفاً المعرفة لذات المعرفة فهو العقل النظري، وبين العقل حين يتجه إلى الأغراض العملية والخلقية فهو العقل العملي.

لذلك فإن القول بأن الفارابي أول من صاغ نظرية العقول وقسمها إلى نظرية وعملية قول يجانبه الصواب ، لأن هذه النظرية في الأصل ترجع إلى جهود أرسطو وأفلاطون وأفلوطين معاً ، وإلى قسمة الوجود إلى عالمين أو وجودين ونسبة العقول إليهما ثم تقسيم النفوس إلى نفس نباتية وغاذية وحيوانية وناطقة بحيث يكون لكل نفس منها عقل حسب ما يناسبها من عمل ، وأن لكل فلك عقل لامادي يحركه.

ومع هذا فإننا لاننكر دور الفارابي في عرض وشرح وتقديم نظرية العقول العشرة أو تقسيم العقول حسب طبيعتها ووظيفتها ، أو قسمة العقل حسب أنواع الفضائل وترتيبها ، فالفضائل النظرية يمثلها أقسام العقل النظري ، والفضائل الفكرية والخلقية يمثلها أقسام العقل العملى ، بحيث تتألف الفضائل النظرية من العقل النظرى والعلم اليقينى والحكمة ، أما الفضائل الفكرية فتتألف من العقل العملي كالتعقل والذهن و جودة الرأي وصواب الظن.

وقبل التعرض لتقسيم الفارابى للعقول وطبيعتها ووظيفتها وكيفية عملها ، يجب التعرف على دور الفارابى نفسه فى تقسيم العقول ، ومدى تميزه عن سابقيه والتعرف على حقيقة دوره فى معرفتنا بنظرية العقول وفائدة ذلك لنا ، وأين موقع العقل الإنسانى فى نظرية الفارابى المعرفية.

لذا يجب أن نقرر بداية أن الفارابى لم يقل بازدواجية العقل أو قسمته ، لكنه أدرك أن العقل الإنسانى لا يمكن أن ينفصل عن النفس سواء كانت هى النفس الحيوانية أو الناطقة لأن النفس الحيوانية هى الحاسة التى تقوم بوظيفة الإدراك الحسى عبر الوظائف المعرفية المعتادة كالتخيل والتذكر والإحساس باللذة والألم وغيرها من الانفعالات ، أما النفس الناطقة فهى العاقلة التى تقوم بوظيفة التفكير والتصور والتمييز والحكم.

أما ما يجب معرفته عن العقل قبل أداء وظيفته فهو مجرد قوة مستعدة للإدراك ، وهى قبل المعرفة فى حال القوة ويحتاج لقوى نفسانية أخرى لتحريكها ودفعها كالنزوع والإرادة والإحساس أو الانفعال وهى تسمى بالقوة الفاعلة التى تحول قوة المعقول إلى فعل ، وكيفية ذلك أن جملة الإحساسات والأفكار المجردة التى تتكون لدى الإنسان تتحول بالقوة الفاعلة إلى صورعقلية جوهرية لتكون بمثابة موضوعات الفكر الخالص منفصلة عن المادة ، ومن ثم تبدو كنشاط عقلى خالص.

ولكى ندرك حقيقة دورالفارابى فى تقسيم العقول لابد من إدراك أوجه التشابه والارتباط بنظرية أفلاطون فى المعرفة بالمثل وحديثه عن الوجود الممكن المنفصل والمتميز عن عالم المثل المفارق ، وكيف كانت نظرية الفارابى فى تقسيم العقول حسب قسمة الوجود هو استكمال لنظرية أفلاطون التى تجعل العلم بالوجود والمثل من حيث هى مبادىء للوجود وسيلة ضرورية لبناء عالم الإنسان الواعى فى مجمل الكون.

ثم يظهر تميز الفارابى فى اعتماده على العقل النظرى فى وضع اللبنات الأولى لفلسفته الأنطولوجية العامة ليكون الحدس الأساسى عنده هو حدس الوجود

إطلاقاً ، وأن المعانى الأولى التى يدركها العقل إدراكاً مباشراً دون عملية التجريد ومن خلال فاعلية العقول الأربعة وهى العقل بالقوة ، والعقل بالفعل ، والعقل المستفاد ،والعقل الفعّال ، وهى التى تسمح له بالانتقال من مطلق الوجود إلى الوجود المطلق [٤].

ويأتى الفارابى فى العديد من مؤلفاته بتقسيم العقل كما قسمه من قبل أرسطو إلى عقل نظرى وآخر عملى ثم يقسم كل عقل إلى مراتبه أو إلى القوى والفضائل التى تحكمه ، بحيث تبدو وكأنها مجتمعة فى عقل مستقل بدوره ووظيفته ، وجاء ذلك تفصيلاً فى كتاب الفارابى : الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون وأرسطو وكذلك رسالته فى معانى العقل ، ثم فى آخر مؤلفاته وهو كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة ، وهنا نلاحظ على بعض الباحثين فى فكر الفارابى أنهم لا يميزون بين لفظى علمى وعملى أو بين لفظى نظرى وفطرى ، فالبعض يرى أن الفارابى يقسم العقل إلى نوعين أحدهما علمى والآخر نظرى ، وأن العلمى هو الذى يدرك الجزئيات وما فيها من معانى الجمال أو القبح ، وأن من يستعمل هذه القوة استعمالاً حسناً كانت أفعاله خيرة لأنها تجنبه التسرور والآثام وتجعل الخير أيسر لديه ،أما العقل النظرى فهو هيئة ندرك بها الكليات والمجردات ، وبه يستطيع صاحبه أن يميز بين ما هو حق فى ذاته وما ليس كذلك ، وأن الأصل فى هذا العقل وجود الملكة الفطرية التى ندرك بها الأمور البديهية إدراكاً مباشراً سواء كان ذلك فى التصورات كإدراك معنى الوجود ومعنى الوحدة ، أو فى التصديقات كإدراك أن الكل أعظم من الجزء.

---

[٤] د. فهمى جدعان : الفارابى : مدخل إلى تجربة العلم والفعل عنده ، ضمن كتابه : نظرية التراث ، دار الشروق ، الأردن ١٩٨٥ ، صـ ٢٣٩،٢٤٣

ولأن منهجنا هو استنطاق نص الفارابى نفسه ثم بيان حقيقة قصده وبيان ما يتميز به رأيه عن غيره وموقع ذلك الرأى فى الباء العام لنظريته فى المعرفة ، كان لابد من الاعتماد أولاً على مذكره الفارابى فى أقسام العقل وطبيعة كل عقل ووظيفته كما جاء فى رسالته المسماه فى معانى العقل، فهو يقول : إن العقل هو القوة الناطقة عند الإنسان وبه يتميز الإنسان عن سائر الحيوان ، وهو كما كان عند أرسطو عقلان : عقل عملى وآخر نظرى يتفرع عنهما العديد من الأحوال والمراتب هى :

١- **مرتبة العقل الهيولانى** : ويسمى العقل بلقوة وهو جزء من النفس وقوة من قواها وهو استعداد فطرى موجود لدى جميع البشر ، وبه يستطيعون إدراك الأمور المعقولة وانتزاع صور المحسوسات مما هى وتجريدها ، ولأن هذا العقل أشبه بالمادة الأولى سمى بالهيولانى ، وهو فى هيئته أو طبيعته كهيئة فى مادة تنطبع عليها صور الموجودات كما تنطبع النقوش على الشمع وهيئة النقوش هذه هى المدركات أو المعقولات. ولعل ذلك وراء تسمية الفارابى العقل الهيولانى مرة بالنفس وأخرى بجزء النفس ومرة بالعقل بالقوة ومرة بالهيئة وهكذا .

٢- **مرتبة العقل بالملكة** : ويسمى العقل بالفعل وهو مرتبة أسمى ، أو مرتبة تالية بعد العقل بالقوة أى بعد مرحلة تجميع المعلومات أو الحصول على طائفة من المعقولات بالفعل ، بعد ذلك تصير لهذا العقل ملكة أى قدرة متكونة لديه ، فالمعقولات بالفعل هى التى انتزعت من موادها وصارت صوراً للعقل ، وأصبح العقل بها عقلاً بالفعل. ولذا فإن كونها معقولات بالفعل أو عقلاً بالفعل شىء واحد بعينه. وهذا العقل نوع متقدم من الاستعداد لحصول

المدركات بالفعل والأشياء الحاصلة منه إما أن تكون صوراً للمحسوسات أو المعانى المجردة ، ومثال الأول الصورة المنتزعة لشيء محسوس بعد تجريدها من علائق المادة ، ومثال الثانى معنى الفضيلة والعدل والوفاء وأمثالها.

٣- **مرتبة العقل المستفاد** : وبه تتم أعلى مراتب الإدراك وهو مرتبة يصبح فيها العقل البشرى قادر على إدراك الصور المجردة التى لم تخالط المادة أصلاً ، فإذا كان العقل بالفعل يدرك المعقولات المجردة وهى التى كانت فى موادها وانتزعت منها فإن العقل المستفاد يستطيع أن يدرك الصور المجردة التى لم تكن قط فى مادة وتكون دائماً مفارقة ، وذلك مثل العقول السماوية أو المفارقه. وأهمية الوصول إلى درجة العقل المستفاد ترجع فى نظر الفارابى إلى أنها أسمى مراتب الإدراك البشرى التى لا يبلغها العقل بالفعل إلا بعد التخلص من جميع العلائق المادية حتى لا يكون بينه وبين العقل الفعال شيء آخر فيعقل هذا العقل ذاته ويصير موضوع تعقله حينئذ هو ذاته ، وقد وصل صاحبه إلى هذه المرتبة بعد طول مجاهدة وأناة وتعمق فى مسائل ما وراء الطبيعة فيستشرف الملأ الأعلى ويصبح لديه العقل المستفاد. والذين يصلون الى هذه المرتبة عند الفارابى طائفتان من الناس هما الفلاسفة ويصلون الى هذه الدرجة بالبحث واعمال العقل وكثرة التأمل ، ثم الأنبياء الذين يصلون الى هذه الدرجة بالمخيلة القوية ، وهذا أسمى ما يمكن أن يصل إليه بنو البشر. هذا بالإضافة إلى أن العقل المستفاد كلما كان فى غنى عن المادة كلما كان قريباً من العقل الفعال ، وتصبح نفسه قادرة على الاتصال بالعقل الفعال فتصبح إلهية بعد أن كانت مادية، ويؤكد الفارابى على أن من يصل إلى درجة العقل المستفاد تنكشف له الخفيات ويتصل مباشرة بعالم العقول المفارقة.

٤- **مرتبة العقل الفعال** : بالرغم من كونه ليس من مراتب العقول الإنسانية لأنه عقل كونى عام فهو عند الفارابى واهب الصور ، وهو الروح الأمين ، وهو روح القدس الذى يخرج المعقولات من القوة إلى الفعل ، لأن المعقولات الموجودة به هو الذى يهبها إلى العقل الإنسانى حين يصل إلى مرتبة العقل المستفاد. وأهمية ذلك العقل فى أنه لا تحصل معرفة إنسانية من أى نوع بدونه ، وأن حصول المعرفة فى الذهن وكذلك صحتها متوقفان عليه ، ولذلك سمى فعالاً لأن العقل المستفاد عند الإنسان ينفعل به ويتصل به ويتلقى المعارف منه ، كما أنه هو الذى يمكن العقل الإنسانى من الانتقال من القوة إلى الفعل. ويصف الفارابى مرتبة هذا العقل ودرجته بالقياس إلى العقل البشرى عند بيان مفهوم العقل الذى ذكره أرسطو فى المقالة الثالثة من كتاب النفس ، وهو المفهوم ذاته الذى أورده الفارابى فى كتابه الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون الإلهى وأرسطو طاليس فقال : فأما العقل الفعال الذى ذكره أرسطو فى المقالة الثالثة من كتاب النفس هو صورة مفارقة لم تكن فى مادة ولا تكون أصلاً ، وهو نوع ما عقل بالفعل قريب الشبه من العقل المستفاد وهو الذى جعل تلك الذات التى كانت عقل بالقوة عقلاً بالفعل ، وجعل المعقولات التى كانت معقولات بالقوة معقولات بالفعل. ونسبة العقل الفعال إلى العقل الذى بالقوة كنسبة الشمس إلى العين التى هى بصر بالقوة ما دامت فى الظلمة ، ومعنى بالظلمة هو الإشفاف بالقوة وعدم الإشفاف بالفعل. فالمبدأ الذى به صار البصر بصيراً بالفعل بعد أن كان بصيراً بالقوة وصارت المبصرات التى كانت مبصرات بالقوة مبصرات بالفعل (الإشفاف الذى حصل للبصر عن الشمس). فعلى هذا المثال يحصل فى الذات التى هى عقل بالقوة شىء ما منزلته منه منزلة الإشفاف بالفعل من البصر ، وذلك الشىء يعطى إياه العقل

الفعال فيصير مبدأ به تصير المعقولات التى كانت بالقوة معقولات بالفعل ، وكما أن الشمس هى التى تجعل العين بصيراً بالفعل ، والمبصرات مبصرات بالفعل بما تعطيها من الضياء ، كذلك العقل الفعال هو الذى جعل العقل الذى بالقوة عقلاً بالفعل بما أعطاه من ذلك المبدأ ، وبذلك بعينه صارت المعقولات معقولات بالفعل. والعقل الفعال هو نوع من العقل المستفاد ، وصور الموجودات هى فيه لم تزل ولا تزال إلا أن وجودها فيه على ترتيب غير الترتيب الذى هى موجودة عليه فى العقل الذى هو بالفعل [٥].

٥- **مرتبة العقل العملى** : والعقل فى هذه المرتبة أو الدرجة عند الفارابى قسم عام واحد يتألف من عدة قوى وقدرات وتنحصر مهمته فى تحصيل الصناعات والمهن ، ولهذا يطلق عليه البعض اسم العقل الشرى ، وآخرون يطلقون عليه مسمى الذكاء الاصطناعى ، وهذا العقل هو الذى يطلق عليه الفارابى العديد من المسميات مثل : العقل الفطرى أو العلم اليقينى أو العلم على سبيل البرهان. وهذه القوى أو القدرات العملية هى التى بها يعرف الإنسان ما شأنه ما يعلمه بإرادة ، والمهيأة منها هى التى بها يختار الصناعات والمهن ، والمروية هى التى يكون بها مأخذ الفكر والروية فى شىء مما ينبغى أن يعمل أو لا يعمل. وعند إطلاق إسم الفطرى أو اليقينى على العقل العملى، فالمقصود به القوة التى تحصل لنا بالطبع لا ببحث ولا قياس ، وبها تحصل مبادىء العلوم والمقدمات الضرورية الكلية لا عن قياس أصلاً ولا عن فكر

---

[٥] الفارابى ، أبو نصر : الجمع بين رأى الحكيمين ، مطبعة الكتبى بمصر ، صـ ٤١، ٤٢

obeikandl.com

بل بالفطرة والطبع ، ولهذا فإن جميع ما يقع به أوله من العلوم صادق ويقين ولا يقترن بخطأ قط لأن معارفه التى يدركها ضرورية بديهية ٦.

ولا شك أن ما أثاره الفارابى من معانى ووظائف وتقسيمات للعقول ، وكيفية أداء كل عقل لدوره كان هو الأساس الفلسفى الذى اعتمدت عليه فرق الشيعة وخاصة الإسماعيلية والإثنى عشرية فى بناء نظرية النبوة والإمامة على فكرة ترتيب العقول وفكرة الاتصال والتشابه بين عالم الطبيعة وعالم الروح ، واتفاقهم على أن الاتصال هو قبول النبوة من عالم العقل والنفس وحفظها فى نسل النبوة وحدها واعتقادهم بأن العقل الأول (الذى هو العقل الفعال عند الفارابى) هو الواسطة بين الله والعالم ، وأن هذا العقل يدرك الأشياء بلا حاسة وهو عالم بالشيء قبل كونه ومحيط بالأشياء لا محاط به ، أما العقل الثانى وهو المقابل للعقل المستفاد عند الفارابى فيطلقون عليه النفس الكلية التى تتصل بشخص الرسول أو الناطقة كما يسمونه لتكشف له التأويل والبرهان.

ولعل هذا التشابه والتقارب بين نظرية الفارابى فى المعرفة وترتيب العقول مع آراء فلاسفة الشيعة وخاصة عند أبى يعقوب السجستانى وحميد الدين الكرمانى وغيرهم من فلاسفة الفكر الشيعى وراء تأكيد العديد من الباحثين والمفكرين فى الفلسفة العربية على تأثر فلاسفة الإسماعيلية بنظرية العقول التى قال بها الفارابى ٧.

---

٦ د. ماجد فخرى : فلسفة الفارابى الخلقية ، المكتب التذكارى للفارابى ، تصدير الدكتور مذكور ١٩٨٣ صـ ١٩٧، ١٩٩

٧ د. يحى هويدى : تاريخ فلسفة الإسلام فى القاره الأفريقية جـ١ النهضة المصرية ١٩٦٦ صـ ١١٦، ١٢٦

ثالثا : سمات المعرفة العقلية

لقد تطور مفهوم المعرفة عبر العصور طبقاً لتطور وتغير آراء ومذاهب الفلاسفة وطبقاً لتطور وسائل المعرفة وتحصيل المعلومات ، فلم تعد المعرفة مجرد عملية إدراك حقائق الأشياء وكيفية حدوث هذا الإدراك ، بل أصبحت سعياً وراء تحقيق أهداف هذه المعرفة التى هى فى نفس الوقت أهداف وغايات الإنسان ، ثم بحث ماهية المعرفة ذاتها وتحديد غاياتها أو كما يقولون أصبحت معرفة بالمعرفة. ومن ثم ظهرت حديثاً تفسيرات ومعان عدة للمعرفة كمشكلة بحث يدور فى إطارها سائر مشاكل الدرس الفلسفى.

ولأن الحاجة إلى المعرفة تتنامى بتنامى احتياجات الإنسان والعصر. فنحن اليوم فى أشد الحاجة إلى المعرفة والعلم أى إلى الحقيقة التى عبر عنها الفارابى بقوله: "المعرفة ضرورة لازمة والعلم لابد منه للزومه وأهميته" [٨].

فالمعرفة غاية كل علم ، والعقل أداة تحصيل كل علم ، ومبحث المعرفة يختص بدراسة حقائق الأشياء وأصل تكوينها وعلة وجود الإنسان والعالم، كما يختص ببحث أنواع المعارف ووسائل تحصيلها ، ومبادئ المعرفة الإنسانية وطبيعتها ومصادرها وإمكان قيامها وحدودها وأهميتها والقيم التى تحكمها. وهذه المعانى قد عبر عنها الفارابى فى العديد من مؤلفاته وخاصةً تلك التى تتصل مباشرةً بنظرية المعرفة مثل كتاب الحروف، وتحصيل السعادة، وآراء أهل المدينة الفاضلة ورسالته فى معانى العقل وعيون المسائل، ورسالته فى جواب مسائل سئل عنها ورسالته فيما ينبغى أن يقدم قبل تعلم الفلسفة، وغيرها من الرسائل التى

---

[٨] الفارابى ، ابو نصر : تحصيل السعادة ، تحقيق د. جعفر ال ياسين ، دار الأندلس بيروت ١٩٨١ صـ ١١٢

الحقها المحققون بكتابه "الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون الإلهى وأرسطو طاليس.

وإذا كانت الفلسفة التقليدية التى كان يمثلها فلاسفة اليونان والعرب لم تعانى كثيراً من مشكلة المعرفة، فذلك لأنها لم تميز بين العلم والفلسفة الى جانب أنها أولت النظر والتأمل العقلى العنايـة القصوى، و لم يكن لديها وسائل الكشف المعرفى والتكنولوجى كما هو لآن ، والذى يقدم كل يوم وكل لحظة معارف جديدة عن عالمنا المحيط بنا وعن عالمنا الذى نعيش فيه بل وعن عالم النفس فى تحولاته وأعماقه . وعلى الرغم من أن الحاجة إلى المعرفة فى إزدياد وأن تنوع المعارف فى تنامى مستمر لا حدود له ، فإن الأمل باق فى اكتمال المعرفة بحقائق الوجود باطنه وظاهره على أسس تجريبية وبراهين العقل اليقينية الصحيحة .

من أجل ذلك كان من الصعب فهم طبيعة العقل ودوره عند الفارابى بمعزل عن نظريته فى المعرفة ، وكذلك لانستطيع بحال فهم موقف الفارابى من العقل بمعزل عن فلسفة أفلاطون وأرسطو، كما كان من الصعب بحثها بعيداً عن آرائه فى الفيض والنفس والوجود ومسائل الجوهر والعقل والمعقول وسائر الفضائل النظرية والفكرية والخلقية كذلك.

ولذا سارت خطوات هذه الدراسة وفق التقسيم التقليدى لمباحث المعرفة إبتداء من إمكان قيام المعرفة ومبادئها ، ثم طبيعة المعرفة الفلسفية عند الفارابى وموقعها بين مثالية أفلاطون المفارقة وواقعية أرسطو التحليلية ، ثم أنواع المعرفة الحسية والعقلية والبرهانية والفطرية ، وكيف استخدم الفارابى نظريته فى تراتب العقول واتصالها بالعقل الفعال فى محاولته التوفيق بين الفلسفة والدين واثبات أهمية المعرفة الفلسفية واكتمال العقل بمختلف المعارف ، وكيف ذهب الفارابى

الى التمييز بين الخاصة والعامة من الناس على أساس قدرات العقل ومستوى الذكاء ، وجعل لكل منهما مستوى خاص من التعليم على حسب قدراته العقلية وقوة ادراكه ومخيلته ، ومن ثم حاول الفارابى جاهدا أن يكون للعقل بمختلف مراتبه مكانا بجانب الوحى وعالم السماء والروح ، وذلك عن طريق اثبات سمات العظمة والجلال والكمال والتشابه والعلم والوحدانية للذات الالهية ، و كيف تقترب النفوس والعقول البشرية من العقل الأول أو العقل الفعال ، ومن ثم اكد الفارابى على أن الله هو الواحد والموجود الأول ولأنه القديم وحده والضرورى من نفسه ، والبرىء من كل أنحاء النقص ، والذى ليس بمادة ، وانه تعالى مباين بجوهره لكل ما سواه ، وأنه تعالى ليس مركبا بوجه من الوجوه لأنه الواحد من كل وجه ، ولأنه تعالى ليس بمادة فهو عقل بالفعل يعقل ذاته ، لأن العقل والعاقل والمعقول فيه شيء واحد وهو الذات ، وكذلك فيما يتصل بالعلم ذاته فهوعلم وعالم ومعلوم لذاته .

و لم تتوقف هذه الدراسة عند حد عرض آراء الفارابى فى هذه المسائل بل تعدت إلى بحث ومناقشة موقف الفارابى من المعرفة البرهانية من حيث طبيعتها وخصائصها ، والمعرفة بالعالم والنفس وكيفيو حدوثها ، ثم موقف الفارابى النقدى الذى ظهر واضحاً فى آراء من جاء بعده مثل ابن سينا و الغزالى ومن عاصره من المتكلمين، ثم نقد ابن طفيل وابن رشد لآراء الفارابى التوفيقية فى الألوهية والبعث والعالم. ،ثم جاء موقفنا النقدى فى ختام البحث فى محاولة لحسم العديد من المسائل التى أثارها الفارابى حول مبادىء المعرفة وطرق اليقين مسترشدين ببعض نصوص من مؤلفات الفارابى ذات الصلة بموقفه من العقل وطبيعة معارفه.

ولا شك أن الفارابى كان فى مقدمة الفلاسفة الذين يوحدون بين المعرفة والعلم ، على اعتبار أن العلم هو القدرة التى تخلق كل شىء وأن المعرفة هى الحكمة القائمة على جودة التمييز التى إذا حصّلها الإنسان حصل معارف كثيرة هى أساس قيام الصنائع أى الفنون والعلوم .

كما كان فى مقدمة أصحاب النزعة التوفيقية أو التقريبية بين الحكمة والشريعة، وبين مختلف الآراء، كما فعل بين أفلاطون وأرسطو ، وكانت غايته من محولته التوفيقية إثبات أن الحقيقة واحدة وأن مصدر جميع المعارف واحد وهو العقل وأن العقل هو كمال النفس وكمال النفس هو العقل وما الإنسان على الحقيقة إلا العقل، وأنه إذا كانت الحقيقة واحدة فإن غاية الإنسان والفكر والوجود واحدة.

بالاضافة الى ذلك كان الفارابى فى مقدمة الذين وضعوا دعائم الفكر الميتافيزيقى عند العرب قبل ابن سينا وغيره ، عندما أثار العلاقة بين الواحد والمتعدد وكيفية الإتصال بين عالم العقل وعالم الإنسان، وتحديد ميدان بحث المعرفة الفلسفية حين قال: "إن الفلسفة ليست تنظر فى شىء آخر غير المقولات أولاً أى مقولات العقل واليقين ، فلا التعاليم ولا العلم الطبيعى ولا العلم المدنى تكفيه مقولات العقل ، فأما العلم الإلهى فإنه إنما ينظر أكثر شىء تنظر فيه المقولات، فالمقولات ليست موضوعة لعلم المنطق فحسب بل هى الموضوعات الأول لجميع الصنائع المنطقية وجميع العلوم الفلسفية ولعلم ما بعد الطبيعة أو العلم الإلهى".[٩]

---

٩ الفارابى ، ابو نصر : كتاب الحروف، تحقيق د. محسن مهدى ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩٠ ، صـ ٣٠

ومن أجل تحديد سمات المعرفة العقلية كان على الفارابى ضرورة التغلب على العديد من الصعوبات التى تواجه عملية الإدراك العقلى ، ومحاولة اثبات مدى الصدق واليقين الذى تتصف به المعرفة العقلية ، ومدى تميزها عن معارف الحس ، فإذا كانت المعرفة العقلية تتميز بسمة الصدق والثبات مثلاً فإن مرجع ذلك إلى قوة العقل على إدراك كافة المعقولات الممكنة وفى مختلف الظروف النفسية والانفعالية للعارف ، ومهما واجهت من صعاب أو عقبات عند مواجهة المعقولات فى حالة من شدة الانفعال أوقوة الشىء المعقول وصعوبة إدراكه ، فرغم ذلك تأتى معارف العقل أصدق من معارف الحس ، لأن قوة الحس لا توجد مستقلة عن البدن أما العقل فيوجد مفارق له.

هذا عن مقدار الصدق وعلته فى معارف العقل ، أما سمة الثبات فتظهر عند المقارنة بين الحفظ والفهم ، وعندما سئل الفارابى عن الحفظ والفهم أيهما أفضل قال : الفهم أفضل من الحفظ ، ذلك أن الحفظ فعله إنما يكون فى الألفاظ أكثر ، وذلك فى الجزئيات والأشخاص ، وهذه أمور لا تكاد تتناهى ولا هى تجدى وتغنى لا بأشخاصها ولا بأنواعها ، والساعى فيها لا يتناهى كباطل السعى. هذا عن الحفظ أما الفهم ففعله فى المعانى والكليات والقوانين وهذه أمور محدودة ومتناهية وواحدة للجميع الذى يسعى فى هذه الأمور لا يخلو من جدوى .

ويعلل الفارابى فائدة الفهم ومجال عمل العقل فيه عندما يكمل هذه المقارنة بين الحفظ والفهم فيقول : وأيضاً فإن فعل الإنسان الخاص به القياس والتدبير والسياسات والنظر فى العواقب فإذا كان معول فى ما يحتوى ويعرض له على جزئيات حفظها لا يأمن من الغلط والضلال ، إذ الأمور بأشخاصها لا يشبه بعضها بعضاً بجميع الجهات ، ولعل الذى يعرض له لا يكون من جنس ما حفظه

فإذا كان معوله على الأصول والكليات وعرض له أمر من الأمور أمكنه أن يرجع بفهمه إلى الأصول فيقيس هذا بهذا ، وعندئذ قد تبين أن الفهم أفضل من الحفظ [١٠].

ومعنى ذلك عند الفارابى أن عمل العقل ليس بالأمر السهل ولا يؤمن من أخطاء العقل لأن هناك العديد من العوامل التى تؤدى إلى صعوبة الإدراك كما تؤدى إلى الخطأ فى معارف العقل ، ولعل ذلك وراء القول بأن الفارابى قد فوجىء بهذه الصعوبات التى تواجه عملية الإدراك العقلى.

وسوف يتبين لنا ذلك عند استعراض باقى السمات التى تميز المعرفة العقلية كالتعقل أو التقرير ، أو لضرورة ، والكلية والإطلاق والصدق والثبات والوضوح وغيرها.

التقريرية : هذه السمة تظهر واضحة عند الربط بين التصورات العقلية وإدراك الماهيات أى حقائق الأشياء لتكون صادقة دائماً ، فتقرير الوقائع يظهر فى القضايا البديهية الصادقة كقولنا إن ٤ مجموع ٢+٢ وإن الماء يغلى عند ١٠٠ درجة ، كما تظهر سمة التقرير العقلى عند فهم وتحليل الوقائع السياسية والخلقية والاجتماعية بطريقة منطقية مقبولة . وقد وصف تلك السمة الفارابى فى كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة وسماها التعقل حين قال : إن القوة التى يستطيع بها الحاكم أن يعالج الحالات المختلفة فى السياسة العامة بحسب ظروف كل حالة

---

[١٠] الفارابى ، أبو نصر : رسالة للمعلم الثانى فى جواب مسائل سئل عنها ، ضمن كتاب الجمع بين رأى الحكيمين ، مطبعة الكتبى بمصر صـ ٧٥

على حده تسمى عند المفكرين القدماء التعقل ، وهذه قوة ليست تحصل بمعرفة كليات الصناعة واستيفائها كلها لكن بطول التجربة فى الأشخاص [11].

والتقريرية عند الفارابى كذلك تعنى وصف ما هو كائن بالفعل عن طريق الإدراك المباشر للعلل القريبه الظاهرة ، ولذا فهى تعنى الموضوعية فى اعتمادها على الملاحظة المباشرة عند بحث الوقائع أو التأمل الكونى الزمانى ، وعند المقارنة والتحليل وكافة العلاقات بين المدركات الذهنية والمسلمات البدهية فى العقل.

المحدودية : بمعنى عدم الإطلاق وهى تشير من جهة إلى الصعوبة ، وخاصه عندما يحاول العقل تخطى حدود الزمان والمكان ، أو إلى نقص المعرفة العقلية بالقياس إلى المعرفة الإلهية ، كما تشير إلى تعلق معارف العقل بالموجودات الناقصة فى ذاتها، ومعنى محدودية المعرفة العقلية عند الفارابى قد تعنى إنحصارها فى حدود الظواهر الممكنة المحددة هى الأخرى بإطار الزمان والمكان والكم والكيف ، وهذا ما يؤكده الفارابى بقوله : إن الحركة والزمان واللانهايه والعدم وأشباههما من الموجودات فالمعقول من كل واحد منها فى نفوسنا معقول ناقص إذ كانت هى فى أنفسها موجودات ناقصة الوجود ، كما ان العدد والمثلث والمربع وأشباههما فمعقولاتها فى أنفسنا أكمل لأنها هى فى أنفسها أكمل وجود [12].

التنوع : بمعنى ىتنوع معارف العقل تبعاً لتعدد وتنوع الوقائع أو المعقولات ، وهذه السمة ترجع إلى الاختلاف والتعارض بين عالم الظاهر الممكن وعالم الباطن أو الشيء فى ذاته كما تشير إلى إدراك الإنسان للمعقولات باختلاف

---

[11] د. محمد عبد المعز نصر : الفارابى ونظم الحكم السياسية ، ضمن الكتاب التذكارى تصدير الدكتور مدكور ١٩٨٣ صـ٣١١ ، نقلاً عن الملة الفاضلة للفارابى صـ ٥٩

[12] الفارابى ، أبو نصر : اراء أهل المدينة الفاضلة ، ط محمد على صبيح القاهرة صـ ١٠،١١

أنواعها سواء ماهيات منتزعة من أفرادها أم معانى إلهية يتلقاها الفرد عن طريق الفيض الإلهى. كما يأتى التنوع ليدل على اختلاف المعارف تبعاً لاختلاف القوى والملكات العقلية لدى البشر.

التطابق : بمعنى التكامل أو الكمال الناشىء من توافق معارفنا العقلية مع وقائع عالم الحس ، وهو عند الفارابى لا يتحقق إلا بإكمال كل نقص من معرفة ، وهو ما يؤكده الفارابى حين يقول إذا كان المعقول منه فى نفوسنا مطابقاً لما هو موجود منه فعلى حسب وجوده الخارج عن نفوسنا تكون معقولة فى نفوسنا مطابقاً لوجوده ، وإن كان ناقص الوجود كان معقوله فى نفوسنا معقولاً أنقص ، ودليل ذلك أن المدركات الحسية معقولات ناقصة من جهة المعرفة على اعتبار أنها فى نفسها موجودات ناقصة ، فالتطابق الذى يعنى اليقين يتطلب أن يكون ما فى النفس مطابقاً لما هو خارجه.

البرهان : بمعنى الصدق واليقين ، فالمعرفة العقلية فى الأصل معرفة برهانية تقوم على قواعد ومبادىء لاستدلال المنطقى ،قد سعى الفارابى فى فلسفته المعرفية الى إثبات ذلك من خلال تحديد وظائف البرهان العقلى مثل: الاهتمام بجوانب الصدق وتحديد معيار له يثبت الصدق فى اللفظ والمعنى والقضية ومتى توصف بالصدق و الكذب ، واثبات أن البرهان العقلى يوصلنا إلى معرف استنباطية يقينية وبديهية كما فى قضايا الرياضيات والمنطق والإلهيات كذلك ، وهى التى يمكن الوصول بها إلى التصورات الأساسية أو الإدراك العقلى المباشر الذى لا يتضمن استدلالاً ولا تسبقه مقدمات.

الثنائية : وهى تعنى تأرجح المعرفة العقلية بين عالم المادة وعالم الروح ، أو بين عالم الظاهر وعالم الباطن . فالوجود كله قائم على الثنائية : فى الإنسان بين

الجسم والنفس وفى الوجود بين الإلهى والطبيعى وفى الجسم بين الجوهر والعرض والجزء والكل ، وفى الأخلاق بين الخير والشر والحق والباطل والضلال والهدى. وبالرغم من بعد عالم الروح عن قوى العقل وصعوبة إدراكه ، ورغم أن العقل لا يفهم حقيقة الشيء فى ذاته فإنه يمكن للعقل بمساعدة المخيلة أن ينكر حقائق موجودة أو يثبت حقائق لا وجود لها ببراهين عقلية مجردة منطقية شكلاً لا علاقة لها بالواقع الفعلى.ومثال ذلك أشكال المنطق الأرسطى.

ويعبر الفارابى عن هذه الثنائية وأثرها فى إضعاف إدراكاتنا العقلية وقصور العقل أمامها فيقول : ولكن لضعف قوى عقولنا نحن عسر تصوره أى صعب تصور الوجود الكلى الذى يشمل العالمين معا ، أى عالم الكمال وعالم الحس فتكون المعقولات التى هى فى أنفسنا ناقصة وتصورنا لها ضعيفاً وهذا على ضربين : ضرب ممتنع من جهة ذاته أن يتصور فيعقل تصوراً تاماً لضعف وجوده ونقصان ذاته وجوهره ، وضرب مبزول من جهة فهمه وتصوره على التمام وعلى أكمل ما يكون ولكن أذهاننا وقوى عقولنا ممتنعة لضعفها وبعدها عن جوهر ذلك الشيء من أن نتصوره على التمام وعلى ما هو عليه من كمال الوجود. وهذان الضربان كل واحد منهما هو من الآخر فى الطرف الأقصى من الوجود ، أحدهما فى نهاية الكمال والآخر فى نهاية النقص [١٣].

فالثنائية إذن فى المعرفة العقلية لها جانبها الإيجابى المتمثل فى محاولة العقل اقتحام عالم الروح والنفس وفهمه بنفس معايير إدراك العالم المادى وذلك من خلال انتقال صور الموجودات الحسية بالتخيل والتصور والتذكر وتحولها إلى مدركات مجردة ، وهنا تظهر إيجابية العقل فى إدراك هذه الأشياء اللا منظورة ،

---

[13] الفارابى ، ابو نصر : آراء أهل المدينة الفاضلة ، مطبعة محمد صبيح ، القاهرة ص ١٢،١٣

وكذلك عند التمييز بين المتناقضات وكشف حقيقة التعارض بين المدركات الجزئية والكلية وبين الجواهر وأعراضها.

أما الجانب السلبي في ثنائية المعرفة العقلية فيتمثل في اختلاف معارف العقل وفشله في كثير من الأحيان في حسم قضايا الخلاف أو إثبات صدق ما نعرفه وحقيقة علته إلا بعد وقت وجهد وأناة. ولذا فإن الخطأ في معارف العقل يرجع إلى أسباب عديدة منها :

- أن التفكير نفسه نوع من الانفعال والتأثر ، ولذا فإن صعوبة الإدراك ترجع في كثير من الأحيان إلى شدة الانفعال والتأثر.

- عدم الوضوح الناشيء عن تداخل الظواهر وعوامل الإدراك وتداخل المعاني وكثرة الدلالات التي تشير إليها الوقائع أو المعقولات ، فهناك معاني تدل ومعاني بعيدة عن المعنى الحقيقي.

- صعوبة تحديد دلالات الألفاظ بدقة يقبلها العقل ، ولذا كان اهتمام الفارابي بتحديد المفاهيم والمصطلحات التي تساعد على الفهم مثل معنى الذات والعقل والحكمة واللزوم والعلم والسعادة والموجود والجوهر والعرض وغيرها من المفاهيم التي أصبحت مكونات أساسية في نظرية المعرفة عنده.

- التسرع وعدم التزام الدقة عند تطبيق معايير التقدير الكمي والكيفي ، ثم تداخل عناصر الخطأ والصواب ، ثم غياب المعيار الذي تقاس به المعارف الكلية خاصة تلك التي تخرج عن مجال إدراكه.

- الوثوق الكامل في معارف العقل وحده وانكار أي مصدر آخر للمعرفة مثل الفطرة أو الذوق الفطري أو التجارب والخبرات ، والقناعة المطلقة بأن العقل

وحده مصدر كافة المعارف ، وأن بدون العقل لا معنى يمكن قبوله ، ولا يقين يمكن تصديقه . عندئذ يحمل العقل فوق طاقته أى أن يتحمل مسؤلية فهم كل ما يحدث فى الكون مثلاً ، أو أن نحمله مسؤلية إدراك العلاقة والاتصال بين العلم الإلهى ورغبات البشر ، مع الاعتراف بأن الصلة موجودة ولكنها غير معقولة أو مدركة.

- **استحالة المعرفة الغيبية** ، فرغم وثوق الفارابى الكامل فى قدرات العقل وصدق معارفه فإنه يعترف بقصوره فى إدراك عالم الإلهيات لأنه فوق قدراته بسبب ملابسة العقل بالمادة أو النفس بالبدن فيقول : لضعف قوى عقولنا نحن وملابستها بالمادة والعدم يعتاص أى يصعب علينا إدراك كنه الذات الإلهية على الحقيقة والكمال ، ويعسر علينا تصوره ونضعف من أن نعقله على ما هو عليه وجوده ، فإن إفراط كماله يبهرنا فلا نقوى على تصوره على التمام [١٤].

-**الضرورة** : بمعنى أن معارف العقل مطلقة لا تتغير بتغير الزمان والمكان كما يحدث لمعارف الحس ، ولذا فإن معارف العقل تتميز بالضرورة والكلية لأنها عامة لدى جميع البشر ، وعلة ذلك أن بالعقل مبادىء أولية بها يمكن أن ندرك القوانين التى تحكم الكون وتنظمه وتظهره فى صورة الإلزام وحسن النظام.

والضرورة العقلية عند الفارابى تعنى أن العقل هو الذى يفحص كافة المعارف ويقوم بالترتيب والتنسيق والحكم وفق مبادىء محدده كمبدأ الذاتية(الشيء هو نفسه)أو عدم التناقض الذى يقرر أن الشيء لا يمكن أن يكون موجود وغير موجود فى ذات الوقت.

---

[١٤] الفارابى ، أبو نصر : آراء أهل المدينة الفاضلة ، طبعة محمد على صبيح القاهرة صـ ١٢

والضرورة بمعنى اللزوم عند الفارابى تعنى أن العقل يدرك من الوجود معناه الثابت وأن العقل هو أعلى درجات النفس الناطقة ، وهو القوة التى بها يستنبط الإنسان ما يجب عليه فعله من الأفعال الإنسانية ،، وأن عالم العقول تتميز معارفة باليقين الدائم والثبات والضرورة كذلك.

وإلى جانب هذه السمات التى تميز المعرفة العقلية عند الفارابى كما تحدد وظائف العقل الإدراكية ، فإن على العقل تقع مسؤليات عديدة منها : ضرورة العلم بالمحسوس وغير المحسوس ، ومعرفة حقيقة الشريعة وأصول العقائد والعلم بالألوهية وصفاتها وتأييد ما جاء به النبي "صلى الله عليه وسلم" ، وإثبات التوحيد.

هذا فى مجال الاعتقاد . أما فى المجال الاجتماعى فعلى العقل تقع مسؤلية تحقيق الوعى بأمور الحياة وتنظيم العلاقات ووضع المبادىء والقوانين التى تنظم الاجتماع الإنسانى ، وتساهم عملياً فى القضاء على عوامل التخلف والجهل، وتكون مهمة العقل تدبير أحوال الإنسان وتوجيه أفعاله.

وفى المجال الخلقى تقع على العقل مسؤلية تحصيل الفضائل وفى قمتها الخير الأقصى الذى هو السعادة والذى تكن به التفرقة بين الحق والباطل ، أو كما يرى الفارابى أن مهمة العقل فى التمييز والتزام مبادىء التعقل فيما سبيله أن يستنبط من الأمور الإرادية التى من شأنها أن تؤثر أو تجتنب [15].

وفى المجال المعرفى تقع على العقل مسؤلية إدراك الصور المجردة عن الأجسام والعلائق مثل المعانى الكلية فى الذهن أو فى الوجود كالنفس . وتحصيل اليقين فالعقل كمل يقول أرسطو هو قوة يستعين بها المرء للوصول بطريقة مباشرة إلى

---

[15] الفارابى ، أبو نصر : الجمع بين رأى الحكيمين ، مطبعة الكتبى بمصر صـ ٣٧

نتيجة يقينية يستنبطها من بعض المقدمات ، وهو أحد أجزاء النفس التي بها تكتسب المعارف النظرية والمبادىء الأولى [١٦].

وفى المجال المعرفى أيضاً تقع على العقل مسؤلية التفكير والتذكر والتخيل والحكم والبرهنة وتحصيل الأفكار المعقولة من الأشياء المحسوسة ، وأن يكون مستعداً للتحرك نحو المعقولات لتتحول قوة المعقول إلى فعل ، وتصبح المعرفة العقلية بمثابة القوة الفاعلة التى تحول كافة المحسوسات إلى معارف وأفكار وتوجه الإنسان دائماً إلى ما يجب فعله

رابعا : قوانين المنطق بين العقل والمعقول

لقد ظهرت أهمية الدراسات المنطقية والاعتماد على مبادىء وقوانين المنطق فى بناء نظرية المعرفة عند الفارابى فى العديد من مؤلفاته وشروحه ، فالمنطق عند الفارابى كما كان عند أرسطو هو العلم الذى نعلم به الطرق التى توصلنا إلى تصور الأشياء وإلى تصديق تصورها على حقيقتها ، وهو أيضاً قانون للتعبير بلغة العقل الإنسانى عند جميع الأمم والآلة والمدخل لكل العلوم .

فنسبة صناعة المنطق إلى العقل والمعقولات عند الفارابى كنسبة صناعة النحو إلى اللسان والألفاظ عند علماء اللغة ، لأن كل ما يعطيناه علم النحو من القوانين فى الألفاظ فإن علم المنطق يعطينا نظائره فى المعقولات، وعلم النحو إنما يعطى قوانين تخص ألفاظ أمة ما ، أما علم المنطق إنما يعطى قوانين مشتركة تعم ألفاظ الأمم كلها.

---

[١٦] د. عبد الحميد درويش : الفلسفة الإلهية عند محمد بن تومرت ، دار المنار ١٩٨٩ ص٥١

ولم تتوقف وظيفة المنطق المعرفية فى رأى الفارابى عند هـذا الحـد بـل تتعـداه إلى بيان الحق واليقين فى المعرفة والتمييز بينه وبين الظـن أو الباطـل . ويصـف الفـارابى فائدة المنطق المعرفية هذه بقوله : "لما كانت الفلسـفة إنمـا تحصـل بجـودة التمييـز، وكانت جودة التمييز إنما تحصل بقوة الـذهن علـى إدراك الصـواب، فكانـت قـوة الذهن حاصلة لنا قبل جميع هذه. وقوة الذهن إنما تحصل مـتى كانـت لنـا قـوة بهـا نقف على الحق أنه حق يقين فنعتقده، وبها نقـف علـى الباطـل أنـه باطـل يقـين فنتجنبه، ونقف على الباطل الشبيه بالحق فلا نغلط فيه، ونقف علـى مـا هـو حـق فى ذاته وقد شبه بالباطل فلا نغلط فيه ولا نخدع، والصناعة الـتى بهـا نسـتفيد هـذه القوة تسمى صناعة المنطق "[١٧].

ويذهب البعض الى أن البداية الحقيقية للفكـر الميتـافيزيقى عنـد العـرب بـدأت حين قدم الفارابى نظريته فى العقول العشرة كأسـاس لتفسـير مشـكلة الصـلة بـين الواحد والمتعدد، واثبات تمايز درجات العقـول ، وهـى النظريـة الـتى اسـتخدمها الفارابى لإثبات التنـزيه لله وذلك بإثبات كماله وقدرته وإرادتـه وعلمـه، وبوصـفه العلة الأولى والسبب الأول الذى يصدر عنه وحده كل فكر وحكمة وكـل مـا هـو موجود، ولأن البارى أكمل الموجـودات فوجـب أن تكـون معرفتنـا بـه أكمـل المعرفة وأتمها.

وكانت تلك نقطة الانطلاق الى عـالم البحـث الميتـافيزيقى فى الفكـر العـربى حين بدأ الفارابى مرحلة البحث فى موضوعات خارج نطاق الحـس والعقـل ، ومـن بعدها انطلق علماء الكلام وفلاسـفة العـرب بعـد الفـارابى يبحثـون فى مسـائل

---

[١٧] د. حسين على محفوظ : الفارابى فى المراجع العربية ط ١٩٧٥ ، صـ ٢٨٢

الوجود الإلهى وصفاته وعلاقة الاتصال بين الممكن والواجب، و قضية حرية الإرادة والنفس وطبيعتها وخلودها وغيرها من مسائل الميتافيزيقا.

وهكذا كان الفارابى فى مقدمة من حددوا علل اختلاف المعارف على أساس قدرات العقل ، والتى حصرها الفارابى فى ضرورة التمييز بين معارف العقل اليقينية وبين الظن والوهم والتشابه والتضاد وصعف القدرة على التمييز بين الضرورى والممكن، وقد عرض الفارابى لهذه المسألة تفصيلا فى رسالته "نكت أبى نصر الفارابى فيما يصح ولا يصح من أحكام النحوم [18].

ففى إثبات علة الظن والوهم قال: " قد يحسن ظن الإنسان بالعلم الواحد فيظنه أكثر وأحسن وأحكم وأوضح مما هو، وذلك إما لنقص أوبغض يكونان فى طبعه، فلا يقدر معهما على الوقوف على حقيقة ذلك العلم" .

وذلك لأن الوهم والظن ينقص المعارف ويبعد عن الحقائق، ويجعل العارف فى موقف المتردد فلا يميز بين الصحيح والفاسد، أو بين الممكن والواجب، فإن هذا الظن قد يخرج الإنسان إلى قبول ما ليس بكلى على أنه كلى، وما ليس بمنتج من القياسات على أنه منتج، وما ليس ببرهان على أنه برهان [19].

وفى إثبات علة التشابه التى تؤدى إلى التوهم والاختلاف فى الأحكام يقول الفارابى :"إذا وجد شيئان متشابهان ثم ظهر أن شيئاً ثالثاً هو سبب لأحدهما فإن الوهم يسبق ويحكم بأنه أيضاً سبب للآخر، وذلك لا يصح فى كل متشابهين، إذن التشابه قد يكون لغرض من الأغراض وقد يكون بالذات، ودليل ذلك فى القياس قولنا: الإنسان مشاء ، والإنسان حيوان ، فالمشاء حيوان. والفرس شبيه

---

[18] وهى أحد الرسائل الملحقة بكتاب الجمع بين رأى الحكيمين ، مطبعة الكتبى بمصر صـ ٩١- ١٠١

[19] الفارابى ، أبو نصر : الجمع بين رأى الحكيمين ، مطبعة الكتبى بمصر صـ ٩٣

بالإنسان فى أنه مشاء، فهو أيضاً حيوان . وهذا لا يصح فى جميع المواضع إذ القنفد أبيض وهو حيوان والإسفنج أبيض لكنه ليس بحيوان [20]، مع ملاحظة أن الإسفنج حيوان بحرى كذلك، وهو ما غاب عن الفارابى. وسوف نناقش هذه العلل بتفصيل أكثر وأوضح ضمن مبحث المعرفة البرهانية وموقف الفارابى منها.

وفى إثبات علة التضاد بيّن الفارابى أن سبب اختلاف الأنواع هو اختلاف مبادئها التى فيها بسائط العالم ، وأن العالم مركب من بسائط صائرة كرة واحدة وليس خارج العالم شيء ، وأن التضاد فى الحركة والعنصر أو الماهية و الطبع هو الذى يؤدى إلى اختلاف المعارف، وأن الاختلاف القائم على الظن والتعارض بين الطبائع لا يؤدى إلى اليقين أوالجزم الذى يقوم عليه العلم .وفى ذلك يقول الفارابى: "إن الأمور الممكنة التى وجودها ولا وجودها متساويان ليس أحدهما أولى بها من الآخر لا يوجد عليها قياس، وأى قياس ينتج الشيء وضده فليس يفيد علماً، لأنه إنما يحتاج القياس ليفيد علماً بوجود شيء فقط أو لا وجوده، من غير أن يميل الذهن إلى طرفى النقيض جميعاً بعد وجود القياس، إذ الإنسان من أول الأمر واقف بذهنه بين وجود الشيء ولا وجوده غير محصل أحدهما، فأى فكر أو قول لا يحصل أحد طرفى النقيض ولا ينفى الآخر فهو هذر باطل" [21].

وهكذا عبر الفارابى عن مكانة المنطق بين علوم الحكمة ، فكان هو القوة التى يكتسب بها الإنسان جودة التمييز بوصفها مصدر وأصل جميع المعارف اليقينية ، وهذا المعنى أكده الفارابى بقوله : لمّا كانت الفلسفة إنما تحصل بجودة التمييز

---

[20] الفارابى ، أبو نصر : الجمع بين رأى الحكيمين ، مطبعة الكتبى بمصر صـ ٩٣

[21] الفارابى ، أبو نصر : الجمع بين رأى الحكيمين ، مطبعة الكتبى بمصر صـ ٩٤

وكانت جودة التمييز إنما تحصل بجودة أوقوة الذهن على إدراك الصواب كانت قوة الذهن حاصلة لنا قبل جميع هذه ، والصناعة التى تستفيد هذه القوة منها تسمى صناعة المنطق . وسوف تظهر أهمية المنطق فى نظرية المعرفة عند الفارابى عبر فصول هذه الدراسة وخاصة عند رصد جوانب المعرفة العقلية والمعرفة البرهانية عنده وفوائد استخدام مقولات العقل واليقين .

obeikandl.com